العرب
الثلاثاء 2020/01/21
السنة 42 العدد 11593

كاتب دافع عن الإنسان في مواجهة شرور العلم

مقالات لستيفان زفايغ تنشر في باريس بعد 78 سنة على رحيله

الكثير من الكتاب والمثقفين الغربيين وقفوا ضد الحربين العالميتين المدمرتين الأولى أو الثانية، فيهم من هلك وفيهم من شــرّدتاه إلى المنافي، ومن بين هؤلاء ســتيفان زفايغ النمســاوي الذي دفعته آثار الحروب المدمرة ماديا ونفسيا إلى الانتحار، لكنه ترك إرثا أدبيا هاما، فيما بقيت مقالاته مجهولة نسبيا.

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

نعلــم أن النمســاوي ســتيفان زفايغ (1881 – 1942) كان قصاصــا وروائيــا مــن النوع الرفيع. تشــهد بذلــك العديد من الأعمال التي ترجمت إلى جلّ لغات العالــم، بما فــي ذلك اللغــة العربية. ولا تــزال هــذه الأعمال تحظــى بإقبال كبير من قبل القــراء مثل "لاعب الشــطرنج"، و"أربع وعشرون ساعة في حياة امرأة"، و"أموك".

مقالات مجهولة لستيفان زفايغ نتبيّنُ من خلالها مواقفه من القضايا التي شهدها عصره الموسوم بالحروب والتقلبات الخطيرة

وكتــب زفايــغ ســير البعــض مــن المشاهير في المجال السياسي، والأدبي، والفلسفي، وغيره مثل ماري أنطوانيت، ونيتشــة، وماجــلان، وتولســتوي، ودستويفســكي، ومونتانــي، وفرليــن... وقبــل انتحــاره فــي البرازيــل برفقــة زوجته الشــابة فــي الثاني والعشــرين مــن شــهر فبرايــر 1942، أصــدر كتابه الأخير "عالم الأمس" الذي يرثي فيــه مــوت الإمبراطورية النمساوية – المجرية، وانطفاء نجمــة فيينا التــي احتضنت مقاهيهــا ونواديها في العقود الأخيــرة العديد مــن النوابغ في مجال الأدب، والفلســفة، والموسيقى وغير ذلك.

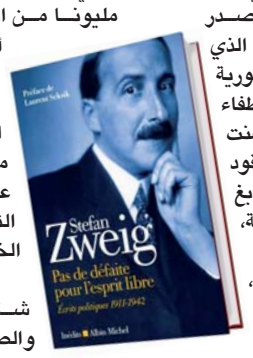

مطلــع العــام الحالــي، أصدرت دار "ألبان ميشال" الفرنســية مقالات مجهولة لستيفان زفايغ نتبيّنُ من خلالها مواقفــه السياســية تجــاه العديــد من القضايا التي شــهدها عصره الموسوم بالحــروب، والنزاعــات، والتقلبــات الخطيرة.

وقــد حملت هذه المقالات التي تمتد مــن عــام 1911 إلى عــام 1942 عنوان "لا هزيمة للفكر الحر". ومنذ أن كان في سن العشــرين، نتبين أن ستيفان زفايغ الذي كان يتقــن عدة لغات، والــذي كان أيضا دائم التنقل والســفر، مدافعا شرسا عمّا كان يســميه بـ"الــروح الأوروبيــة". لذا طالب في العديد من مقالاته بأن يســاهم المثقفون في توحيد أوروبا، وفي توفير "ديناميكيــة" لتحقيــق هــذا الحلم الذي ظل يــراوده حتى في الأوقات العســيرة من تاريخ القــارة العجوز. لذلك قاوم كل النزعات القومية والشوفينية التي كانت تبــرز بين وقــت وآخر لتؤجــج الأحقاد والضغائن بين الشــعوب الأوروبية. بل وكانت تشــعل نار الحــروب مثلما حدث خلال الحرب الكونية الأولى.

وفي إحــدى مقالاته، كتــب الروائي يقــول "الفكــرة الأوروبية ليســت فكرة أولية مثــل الفكرة الوطنيــة التي تعني الانتساب إلى شعب ما. وهي لا توجد في البداية انطلاقا من غريزة، بل هي تنطلق من وعي، وليس من حماس عفوي. وهي ثمــرة تتوفر وتنضج ببــطء انطلاقا من تفكير عميق".

وفي مقالته أيضا حذّر ســتيفان من مخاطــر النازيــة عنــد صعودهــا مطلع الثلاثينات مــن القرن الماضي. وفي ذلك كتب يقول "صوتي ســوف يجهد نفســه لكــي يكون صــوت أربعين أو خمســين مليونــا مــن الضحايــا الذيــن خُنقت

أصواتهــم فــي أوروبــا الوســطى. أنتم تعرفون جميعــا كيــف بــدأت المأســاة التــي انبثقت من ألمانيــا عندما هيمنت عليها القومية الاشــتراكية التــي كان شــعارها الأول: الخنق".

كان زفايــغ يبــدي شــكوكا تجاه التقدم العلمي والصناعي. بل إنــه كان يرى أنــه قد يفضي إلــى المزيد من الحروب والنزاعات بين الأمم والشعوب. وهــو يقول إنه كان يعتقد وهو في ســن الطفولة والشــباب أن ظواهر الحضارة الجديــدة مثــل الهاتــف، والســيارة، والطائرة، وغير ذلك من الظواهر ســوف تلغــي الحدود بيــن البلــدان الأوروبية، وســوف تســاهم فــي توفيــر الأخــوة والصداقة بين شــعوبها، بل قد تســاهم في جعل العالم أكثر سلاما وطمأنينة من ذي قبل.

لكن شيئا فشــيئا تبين له أن التقدم العلمــي تحــول إلــى وســيلة للتخريب والتدميــر. وهذا ما حــدث خلال الحرب الكونيــة الأولى التي شــعر عند نهايتها بفراغ رهيب أشعره بأنه يطل على هاوية المجهول المرعب.

وعلى مدى أشــهر طويلة ظل يعيش الأحــداث كما لو أنها كوابيس بلا نهاية. وأخيرا اهتــدى إلى أن العــلاج الوحيد لتلــك الحالــة هــو اللجــوء إلــى عالمه الداخلــي. وفــي ذلك كتب يقــول "ما هو جوهري لدى كل إنســان هو أن يقوم في الأوقات غيــر متوقعــة العواقب بحماية عالمــه الداخلــي، وجعلــه قــادرا علــى مواجهة تبعات ومخاطر العالم الخارجي (...) وعلــى كل واحــد أن يســعى إلى أن يكون مســتقلا حتى ولو أجبره ذلك على التخلي عن البعض من عاداته الخاصة".

وعندما وصــل إلى البرازيل، فارّا من النازية، شــعر بعقدة ذنب تجاه من ظلوا هناك في ألمانيا، وفي النمســا، يتعذبون يوميا بســبب ما يقوم بــه النازيون من أعمال ترهيب للأفــراد والجماعات، ومن قمع رهيــب للمثقفين والمفكرين الأحرار الذين رفضوا الانصياع لهم. وفي الرابع من شهر مايو، كتب يقول "أحيانا، أنسى. وها أننــي جالس برفقة أصدقاء، أضحك وأمزح. لكن فجأة، وكما لو أنني أستيقظ مرتجفا على حين غفلة، أتحسّــسُ خلف المناقشــة الهادئــة، الصــوت المفــزع للصمت فتتجمد الضحكة على شــفتي". ويتابــع "عندئــذ أتوقــف عــن الــكلام. فالــكلام بينما ملايين من تلــك الكائنات تصرخ وتتعذب تحت الســياط، لن يكون إلاّ بمثابــة الخزي والعــار (...) وها أنني أفكر في شــاعر فــي فيينا أعلــم الآن أنه في أحد معســكرات الاعتقــال. وها أنني أجهد نفسي لكي أستحضر صور وجوه، وهيئــات أصدقــاء هم الآن محبوســون في سجن هائل الاتســاع في ظل الهيمنة الألمانية لكنني أعلم جيدا أن ما أفعله هو مجرد وهم لأن الحقيقة أمرّ من كل هذا".

كاتب كان يحمل 40 مليون صوت

«عجائز البلدة» رحلة حنين إلى الريف المصري القديم

يمكــن للكتابة الســردية أن تخرج من أروقة الروايــة أو القصة الأدبيتين، وتدخــل عوالم أخرى مثل التأريخ، ولو أن الكثير من الروائيين يلجأون إلى التأريخ بشــكل أدبي للحياة البشــرية والحقب والأحــداث ولكل ما يهمله التاريخ الرســمي، وهذا ما انتهجه الكاتب المصري عمار علي حسن الذي اختار أن يؤرخ بالحكايات تفاصيل وأشياء بسيطة لم تعد موجودة.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

القاهــرة – يعتبــر الكتــاب الســردي الجديــد "عجائــز البلــدة" عمــلا أدبيا مختلفا في مسيرة الكاتب المصري عمار علي حسن.

وفي كتابــه، الصادر مؤخرا عن الدار المصريــة اللبنانية بالقاهــرة، يقدم علي حسن نصا سرديا يرسم ملامح من الريف المصــري، انجرفت أغلبهــا مع التحديث الاقتصــادي والاجتماعي. يقع الكتاب في نحو 260 صفحــة من القطع المتوســط، وكان الكاتب قد نشــر بعــض الصفحات منجمــة ولاقــت صدى طيبا، ما شــجعه، حســب قوله، على إكمالها وإصدارها في هــذا الكتاب، الــذي يختلف عــن أعماله الأدبية الســابقة من روايات ومجموعات قصصية.

وكمــا جــاء في تقديــم الكتــاب فهو يحوي حكايات تكشف جانبًا من تاريخنا الاجتماعي المنسي، ويتجلى في سطوره كل ما يربطنا بجذورنــا البعيدة، ليجعل الحنيــن يجرفنــا نحــو زمــن ولــى في غفلــة منا، ولن نســتعيده أبــدا إلا حين يغــوص كل منا في ذاكرته، التي أضناها الشوق والأســى، بسبب غربتنا الطويلة، خلال ســنين نقلتنا مــن طفولة عفية إلى شيخوخة واهنة.

وبــدا عمــار علي حســن في كتابه هذا مســتعيدا لكل ما عرفه ولمسه عن آلات وحالات وأدوات، ســادت ثم بــادت، ليحولها إلى كائنــات مــن لحم ودم، ســواء باســتنطاقها لتبــث حزنهــا الدفين، بعد أن جــارت عليها الأيام، أو برصد انفعال البشر معها، وقت أن كانت حياتهم مربوطة بها، وكانوا يهتمون بها، لأنها تشكل جزءا أصيلا من حياتهم.

في هذا الكتاب السردي نقرأ حكايات بلغة شفيفة عن خمس وستين آلة ريفية، ذهب أغلبها مــع ريحِ عصرنا المتوحش، مثــلِ: النُــورَج والطنبُــور والسَــاقية والشَادوف والمحرَاثْ والحَصِير والخُصْ والزيــر والقُلَّــة والكَانُــون والمَصْطَبــة والسَحَّارة والســبرتَاية والقُفَة والطَبْلِّية والطُلمْبَة والعَصِيد والرَحَاية والدَمَّاســة ولَمبــة الجَــازْ والطَاحُونَــة والمَاجُــور والنَامُوســيَّة والغُرْبَــال والسِــيْجَة والخُلخَالَ والكِردَان وغيرها.

وقــال الكاتب في مفتتــح لكتابه "كل أســماء الأشــياء التــي وردت فــي هذه الحكايــات كتبتهــا وفــق لهجــة قريتي الصغيــرة المنســية في المنيــا، صعيد مصر، وهــي قريــة الإســماعيلية، مركز المنيا. وهناك من ينطقها بطريقة مختلفة في وادي مصر ودلتاها، وفي ريف العالم العربــي من المحيــط إلــى الخليج، لكن الاختلاف حول المسمى لا يجرح الصورة والمعنى المســتقر في أذهــان الريفيين مثلي، أينما كانوا، لاســيما أولئك الذين يجرفهــم الحنيــن إلــى زمن كانــت فيه هذه الأشــياء ســيدة في حقولنا وبيوتنا الخفيضــة، التي لــم تعد على حالها القديمة".

وإن كان الكاتــب يســتعيد ما تمثله الآلات الريفية من قوة ســحرية في حياة أهل القرية، سواء فــي الطعــام أو الشــراب أو الملبــس أو الزراعــة أو التعليم أو غيرها من الأمور، فإنه لا يكتفي برصد الآلة أو الأدوات التــي يتحدث عنها، بل يســتخدم أسلوبه الروائي في الحكي ليقــدم تلك الأدوات على شكل حكايات.

وتنبــع أهمية الكتاب حســب تعليق الناقد والكاتب المغربي هشــام مشــبال علــى صــدوره، مــن كونه ينطــوي على تفاصيل من ذاكرتنــا وهويتنا الجماعية حيث الحنين والحكايات والجذور، وقال "الكاتب يملــك معرفة دقيقة وتجربة حياة في الريف مسكونة بالشــوق" معربا عن تطلعه إلــى قراءة الكتاب لأنــه في نظره "يقــدم معرفة بأصولنــا الاجتماعية التي بدأت تندثر مع سطوة الحياة المعاصرة والمتوحشة".

أمــا المؤلف فقال وهو يقــدم كتابه إلى قرائه ومتابعيه على مواقع التواصل الاجتماعــي "بفضل ترحيــب الصديقات والأصدقاء بـ 'عجائــز البلدة' حين كانت تُنشــر منجمة في مجلة 'تــراث' اكتملت السلســلة، وهــا هــي تصدر فــي كتاب تأخذنا صفحاته إلى زمن جميل مضى".

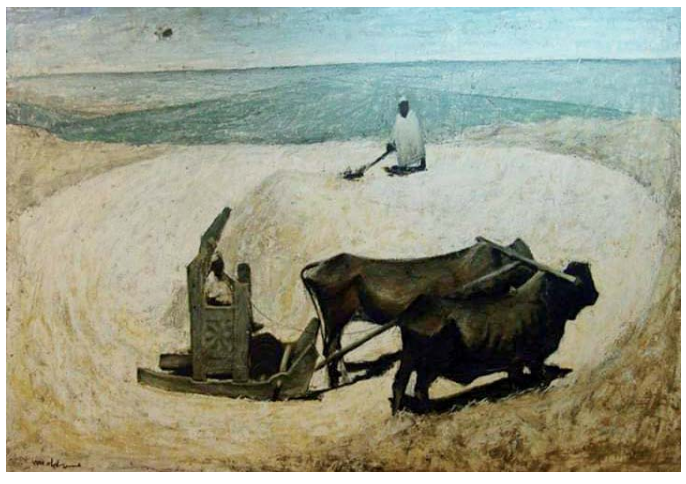

النورج حكايات منسية (لوحة للفنان حسن سليمان)

غربان يمنية تأكل فاكهة بشرية

ميلانــو (إيطاليــا) - تأتــي الروايــة الجديدة للكاتب اليمني أحمد زين بعنوان "فاكهة للغربان". وفي هذا الكتاب، يذهب القارئ رفقة البطل صلاح، وغير بعيد عن أجواء ملبدة برائحة ســجائر إمبريالية، وكلمــات الأغانــي الثوريــة، التي طبعت ســبعينات وثمانينــات القــرن الماضي؛ هناك يجلس صلاح، المناضل اليســاري، ليكتب مذكرات زوجة رئيسه السابق، في الدائرة الحزبية التي كان يعمل فيها؛ بعد شهور من اختفائه.

مــن هنــاك تبــدأ رحلــة متشــعبة المســارات في أزمنة أضحت بعيدة، وفي عدن المدينة التي نــأت كثيرا عن البحر، وأضحت تؤثث ذاكرتها بحكايات الهروب واللجــوء وقصــص الأرواح التي تترقب حتفها في كل حين. كل ذلك لا ينســجم إلا بالمعمــار الروائي الذي هندســه الكاتب علــى طريقة المعمــار اليمنــي الملتحم، بأصالته، مع الحداثة.

ونمضــي مع شــخصيات الرواية صلاح وسناء وجياب ونضــال ونــورا وعبــاس وبقطــاش وغيرهــم، بيــن الحركــة الشــيوعية وجبهة الصمــود والتصــدي، بين موســكو وبــراغ وكوبــا، وبيــن اليمــن والجزائــر والعــراق وبيــروت، إذ تتجلى حركة التاريخ بكل تناقضاتهــا، بالوشــاية والمؤامــرة والتصفيــة، بالنضال وأحلام الثورة، بالآلام الفظيعة والخراب الإنســاني، حيــث ســتبدو الغربــان في صورة لطخ ســوداء تنعق طــوال الليل، وليفاجئنــا الكاتــب بالســؤال، الأكثــر ســريالية «كيف ســيكون طعم الرفاق في أفــواه الغربان وبيــن مخالبهــا،... مثل الفاكهة؟» ربما.

في الرواية تتجلى حركة التاريخ بكل تناقضاتها، بالوشاية والمؤامرة، بالنضال وأحلام الثورة، بالآلام والخراب الإنساني

ونذكــر أن روايــة "فاكهــة للغربان" صدرت حديثا عن منشــورات المتوســط – إيطاليــا. أمــا أحمــد زين فهــو روائي وصحافــي يمنــي. يقيــم فــي الرياض، ويعمــل في الصحافة الثقافية. صدرت له مجموعتــان قصصيتان "أســلاك تصطخــب"، 1997 و"كمن يهش ظلا"، 2002.

كمــا صدرت لزيــن أربع روايــات "تصحيح وضع"، 2004، "قهــوة أميركية"، 2007، "حــرب تحت الجلد"، 2010، "ستيمر بوينت"، 2015. وأعيــدت طباعة اثنتيــن منها في سلسلة الإبداع العربي التي تصدرها الهيئة المصرية للكتاب وهيئة قصور الثقافة. كما ترجمت فصــول من رواياته وعدد من قصصه إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية.